

أثر الاسرائيليات في التفسير

"تحديات في تفسير القرآن في عصر العولمة وكيف حل الإسلام منها"

بقلم : توفيق ورمان محفوظ

ABSTRAK

Tulisan ini membahas bagaimana proses penyusupan *isra'īlīyat* ke dalam penafsiran al-Qur'an yang terdapat dalam buku tafsir. Menelusuri informasi berkaitan dengan yang riwayat-riwayat *isra'īlīyat* dalam buku-buku tafsir tentunya tidak mudah. Terkait dengan riwayat-riwayat *isra'īlīyat* dapat diklasifikasi menjadi tiga, *Pertama*, yang sesuai dengan syari'at Islam; *Kedua*, yang bertentangan dengan syari'at dan terdeteksi bahwa itu adalah palsu. *Ketiga*, yang bukan dari syariat dan tidak bertentangan. Dalam hal ini kisah *isra'īlīyat* tersebut tidak dipercayai juga tidak diingkari.

Penulis melihat kategorisasi di atas merupakan salah satu cara menentukan yang mana masuk kategori *isra'īlīyat* dan yang bukan *isra'īlīyat* yang sejalan dengan Islam. Kisah-kisah yang sejalan dengan Islam sebaiknya tidak dimasukkan dalam kategori *isra'īlīyat* sedangkan yang bertentangan dengan syariat harus ditolak secara terang-terangan. Kekeliruan dalam menafsirkan al-Qur'an disebabkan oleh kesalahan dalam memahami teks ataupun tidak meneliti riwayat-riwayat yang sahih. Para mufasssirin berkewajiban untuk meluruskan tafsiran-tafsiran yang keliru terhadap al-Qur'an.

Untuk mengkaji lebih dalam terkait dengan *isra'īlīyat* maka dalam tulisan ini akan diungkap tentang apa yang dimaksud dengan *isra'īlīyat*? Bagaimana *isra'īlīyat* menyusup ke dalam penafsiran al-Qur'an? Tantangan dalam menafsirkan serta pembagian *isra'īlīyat*?

Kata-kata kunci : *Isra'īlīyat*, Tafsir, al-Qur'an

أ- مقدمة

الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم من الموضوعات التي وضعت فيها أسفار ومجلدات عديدة ، شاعت وانتشرت بين أوساط المهتمين. يمثل هذه القضايا حيث قدمت علي صفحاتها معالجة دقيقة بدأت بتعريف المصطلح وشرحه وتبعية تطوراته ، ثم بيان وتوضيح نماذج من الإسرائيليات عند القدماء المفسرين

والمحدثين ! مع الإشارة إلى أبرز رجالات الإسرائيليات في التراث الإسلامي.

وعبر أبو الاعلى المودودي في تعبير عن سورة النساء أن كثيرا من المفسرين يقول أن سيدة الحوى خلقت من ضلع آدم ، وفي نفس الوقت ذكر أيضا في كتاب الانجيل أو، كتاب المقدس. وزاد كتاب التلموت أن الحوى خلقت من ضلع آدم عليه السلام من الثالثة عشر. والقرآن الكريم لم يذكر مباشرة بهذا الامر والحديث الذي استعمل لدعم هذا الرأي مخالف معنى بما فهمنا . ولذلك من الافضل أن نترك هذا الامر بما ذكرت الايات في القرآن ولا نحتاج إلى تعميق وتعيين وتفصيل فيها. (أنظر أبو الاعلى المودودي، جـ ٢ ص ٩٤).

وهنا نعكف علي الخوض تفصيلا بهذا الامر لكي يوضح بشئ الاجاز لبعض الأمور التي أرى أنها ضرورة ومهم للبحث مثلا أن اليهودي النصراني في شبه الجزيرة كان له بالطبع أثر ثقافي على العربي فيما قبل الاسلام، شتاء الى اليمن ، وصيفا إلى الشام ، وفي كل اليمن والشام تمرکز أهل الكتاب وبخاصة اليهود منهم، ولا شك أنه كانت إتصالات ولقاءات مختلفة بين العرب وهؤلاء، مما يفتح أبواب التأثير والتقاء و هنا من السهولة أن يتأثر وتسرب هذه اسرائليات الى روايات كثيرة وهذه بالغة الخطورة .

فلما جاء الاسلام ، كان من الطبيعي أن تكون هناك حوارات بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أهل الكتاب من أجل عرض هذا الدين الجديد عليهم ودعوتهم إليه وقد سجلت السور المدينة في القرآن الكريم جوانب عديدة من تلك المناظرات التي تمت بين الجانبين، وما كان يدور فيها من عرض الآراء ، وتصديق أو تفنيد. وكان نتيجة ذلك أن أسلم من أسلم من أهل الكتاب وأحبارهم ورهبانهم ، منهم من حسن إسلامه ومنهم من دخل نفاقا بغية الهدم والتخريب .

ويتضح مما سبق وجود العوامل المهيئة للتأثير بعامة، وتسرب الإسرائيليات إلى التراث الاسلامي بخاصة... فالتعايش بين المسلمين وأهل الكتاب، وإسلام العامة والخاصة من اليهود والنصارى، وظاهرة النفاق ومحاولة الدس التخريب، واتفاق القراء مع الكتاب السابقة في العديد من القضايا لكونها جميعا من مصدر واحد، وحكمة القرآن وأسلوبه البليغ في تفصيل بعض الأمور وإيجاز البعض الآخر، كل ذلك، ساعد على إمكانية أن ينقل المسلمون عن بيئتهم آنذاك بعض الملامح الثقافية السائد والتي تمثلت في جوانب من تراث أهل الكتاب.

فكان الموضوع هذا الكتابة: ١. عملية تسرب إسرائيليات في تفسير القرآن الكريم ٢. تعريف إسرائيليات ٣. تحديات المفسرين في تفسير القرآن ٤. قسام إسرائيليات ٥. اللغة مصدر الرئيسى الإسرائيليات في تفسير القرآن ٦. موقف علماء المسلمين من إسرائيليات. والهدف هذه الكتابة بيانا كيف كان المفسر التخلي عن الأخذ تفاسيرهم من أهل الكتاب دعما إلى تفسيرهم في القرآن الكريم وكيف الحل عند المفسرين حول تسرب هذه الاسرائليات.

ب- محتويات هذا البحث

(أ) عملية تسرب إسرائيليات في تفسير القرآن الكريم :

ولما كان من مهام الرسالة المحمدية توضيح وتبيين ما يخفى على الناس من أمور دينهم، فقد عهد الله سبحانه وتعالى إلى نبيه بهذه المهمة ((لتبين للناس ما نزل إليهم)) وما كان لهذا النبي وما كان لهذا التبيين أن يتم دون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم إرتبط التفسير بالحديث، وكان الرواة أول شكل من اشكاله، إذ كان الرسول يجلس إلى أصحابه وحدثهم وفسر لهم ماخفى عليهم من كتاب ربهم، وكان الصحابة بدورهم ينقلون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد سمعوه ووعوه وخفظوه إلى من غاب عن مجلس الرسول في حياته، ولم يقتصر هؤلاء في رواهم على أحاديث الرسول بل شمل كذلك موقوفات على الصحابة والتابعين.

ولم تكن درجة الضبط والدقة والتثبت في الرواية واحدة في جميع مراحلها، فقد كان

الصحابة رضوان الله عليهم أكثر دقة وثبتا وعدلا وأمانة في روايتهم ممن تلاهم حتى فش الوضع والكذب في عصر التابعين خدمة للأهواء والأغراض ، وتصدى علماء المسلمين أنذاك لذلك بشدة ، وخلف من بعدهم خلف تساهلوا في الرواية والمروى حتى صعب على الناس التمييز بين الصدق والكذب ، بين الأصيل والدخيل. أما الشكل الثاني من اشكال التفسير فقد تمثل في التدوين ، وبدأ ذلك في عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حيث أمر بجمع ما صح لدى العلماء من حديث رسول الله وما اشتمل عليه من تفسير ، كذلك ماكان موقوفا عل الصحابة والتابعين ، وكان التفسير بمثابة باب من أبواب الحديث التي جمعها العلماء وقاموا بتبويبها ، ثم الانفصال في التدوين ، فكان الحديث مستقلا والتفسير مستقلا.

ولقد تسربت الإسرائيليات في المرحلتين السابقتين : الرواة والتدوين وإليك البيان :

أولا: مرحلة الرواة

كانت نفوس الصحابة تتفوق إلى معرفة تفاصيل بعض القصص المحمل في القراءان والذي لم يسأل النبي فيه ، فكانوا لايتخرجون - أسنادا لبعض الاحاديث النبي التي سنشير إليها فيما بعض - في سؤال اهل الكتاب من جرائمهم فيما يتعلق بهذه التفاصيل التي لاتتعلق بحكم أو تشريع، وإنما هي تشبع حالة الفضول الإنساني إلى المزيد من المعرفة. وفي عصر التابعين ، حيث دخل كثير من أهل الكتاب إلى الاسلام مع إتساع التواجد الإسلامى وتمدده ، وحيث التساهل الذى ميز هذه المرحلة ، زادت رواية الإسرائيليات نتيجة محاولات بعض المفسرين أنذاك سد الثغرات فيما لايعرفونه من تفاصيل، وكأنهم تخرجوا من الإجمال والإختصار في الوقت الذى تتسم فيه كتب اليهود والنصارى بالتفاصيل.

وبعد التابعين جاء عصر لم يفرق فيه أصحاب بين الغث والثمين ، ولم يقتصر على رواية الإسرائيليات بل راحوا ليرون الخرافات والاساطير التي لاسند لها من كتاب اوصحائف.

وهكذا وجدنا أن تسرب الإسرائيليات الى التفسير قد بدأ منذ عهد الصحابة مع شئ من القيد والتحديد وتطور واتسع مع مرور الزمن.

ثانيا : مرحلة التدوين , فقد بدأت بالنقاء شبه التام من الإسرائيلية نتيجة الالتزام بالسند، والتشدد في قبول الرواة، وبعد الانفصال بين تدوين التفسير والحديث وحذف الاساند، كثرت الإسرائيلية وزادات الخرافات التي ألصقت بالتفسير، وأصبحت فيما بعد جزءا لا يتجزأ منه (محمد حسن الذهبي : ١٩٨٩، ١٦٦ وما بعدها).

ولقد بين لنا ابن خلدون في مقدمته أسباب كثرة هذه الإسرائيلية وأوضح صور تسربها حيث قال وهو يتحدث عن التفسير النقلي ، ((وقد جمع المتقمنون في ذلك وأوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والثمين، والمنقول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداءة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة بشئ مما تشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفدون منهم وأهل التورات ومن تبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من قبيلة حمير، الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على مكان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها ، مثل أخبار بدء الخليقة وما إلى ذلك . وأخذ هذه القصص من هؤلاء مثل كعب الاخبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالهم من هنا إمتلأت التفاسير من المنقولات عنهم أو من أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم

وليسست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا الكتب بهذه القصص، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بعد صيتهم، وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من

يومئذ، (لابن خلدون : د، ت، ٤٩-٤٩١).

وكان ابن خلدون قد أرجع أسباب نفشى الإسرائيلية إلى عاملين أساسيين:

أولهما : اجتماعي تمثل في غلبة البداوة والامية على العربي، والروح الفضولية لدى النفس البشرية،

ثانها : ديني ويرجع ذلك إلى عدم ارتباط هذه المرويات الإسرائيلية بأحكام مما سهل وسوغ روايتها وتلقيها.

وإذا أضفنا وجهة نظر ان خلدون إلى ما سبق أن ذكرناه في هذا الحديث عن ملامح ان بيئة الاسلامية أنذاك أمكننا الوقوف على أهم أسباب تسرب الإسرائيليات الى التفسير . ، (لابن خلدون: د، ت، ص ٩٩-٩١٠).

ت- تعريف إسرائيليّات

الإسرائيليّات في إصطلاح علماء التفسير هي الاساطير والاحاديث المنقولة من مصادر يهودية على كثرة ونصرانية على قلة، كما توسع البعض دسائس أعداء الاسلام من اليهود وغيرهم في التفسير والحديث من قبيل الاسرائليات كذلك، وباب التغليب للطابع اليهودي على غيره ، إذ أن معظم مايروى من هذه الاساطير يرجع الي أصل يهودي، كما أن أول من نشرها بين المسلمين كان من اليهود عاشوا ألي جوار المسلمين في المدينة، (محمد حسين الذهبي: ١٩٨١، ١٢-١٤). ولقد عد العلماء من الإسرائيليات ما رواه مسلمة بنى إسرائيل بل مسلمة النصاري كذلك ولكن نتوقف قليلا عند تحديد المصطلح وفقا لموضوع هذا البحث على النحو التالي :

فالإسرائيليات في رأيي هي كل ما دخل إلى التراث الإسلامي وبخاصة في مجال التفسير من روايات لها أصل ومصدر يهودي يمكن الوقوف عليه وأما ما لم نجد له أصلا في مصادرهم ولا يقبله العقل أو المنطق وكان من روايات اليهود أو ممن أسلم منهم فهو من باب الخرافات والأساطير. فكل ما وجدنا له مصدرا اسرائيليا كالعهد القديم أو التلمود أو الادب الرباني فإنه يدخل في بحثنا هذه تحت مصطلح الإسرائيليات أما عداه من نصرانيات أو خرافات أساطير ، فيخرج عن نطاق البحث.

أما أصحاب هذه الإسرائيليات والنصرانيات كذلك فقد جاثوا إلى جزيرة

العرب قبل ظهور الاسلام بمئات السنين, فقد إنتشرت المسيحية على نطاق واسع وبخاصة في أطراف الجزيرة , كما غلب اليهود علي أقاليم كاملة منه, ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود وفارقوا هذا الدين (الوثنية) ودخل آخرون في النصرانية وتزندق بعضهم.

فأما من تهود منهم : فاليمين بأسرها, كان تبع حمل حيرين من أحبار اليهود الى اليمن فأبطل الاوثان وتهود منهم باليمن كبنى الحارث بن كعب , وقوم من غسان وقوم من جذام. وأما من تنصر من أحياء العربي , فقوم من القريش من بني أسد , ومن بني تميم أمروء القيس بن زيدة مناة, ومن ربيعة بنو تغلب, ومن اليمن طئ ومذحج, وبهراء وسليح وتنوخ وغسات ولخم (انظر تاريخ اليعقوبي: ١٨٨٣, ١/٢٥٨).

ث - من هذه تحديات المفسرين منها :

١ . إعتصام بروايات أسرائليات

ذكر في الفصل الثاني في السفر التكوين أن الحوى خلقت من ضلع ادم عليه السلام اليسرى عند نومه أنظر تفسير المنار , المجلد ٤ , ص ٢٧٨ . وسبب كهذه أن هناك روايات في الكتب السابقة, أخذ المفسرون لدعم رأيهم في تفسير القرآن . وهذ مردود من الناحية وكيف يمكن أن يفسر القرآن بروايات إسرائيلية , القرآن الكريم اولى من الكتب الذى أنزل على أنبياء السابقين ولذلك ينبغى أن يكون الكتاب الاخير هو الذى مبيين بكتب السابقة مثلاً

من محتويات في كتب السابقة منها :

أ . المرأة خلقت من ضلع الرجل . ب. المرأة كالضع. ج. المرأة هي الضلع .

٢ . تخصيص العموم الحديث بدون النظر إلى نص صريح

من هنا حدث الخلاف بتخصيص لفظ الحديث بذكر الحوى بدون النظر إلى نصه الصريح, لاسيما كل الاحاديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تتعلق بالمرأة بصيغ المفرد أو الجمع لن تصرح صراحة بالحوى مباشرة . والمشكلة أن المفسرين ظنوا أن المرأة في الاحاديث هي سيدة الحوى بدون دليل او مقارن بدليل آخر ما وافق به المراد به النبى صلى الله عليه وسلم .

٣ . خطأ في استعمال معانى حرف الميم (من).

من معاني" من " غايات في الأمور أو لتبعض كما هو المعرف . وأيضا من معاني "من" لتثبيت الاسباب و لتعين الجنس شئ , إذن المعاني تلك الاحرف في اللغة العربية لا يقيد على معنى واحد (ابن هشام، ص/ ٣١٩).

ويقول أبو مسلم الاصفهاني , المراد أن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا أي خلقكم من جنسكم. (البضاوى) كما إشارة الايات التالية :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. (الروم ٢١).

وقال أيضا :

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. (الشورى : ١١).

وقال أيضا : وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ . (النحل : ٧٢).

هذه الايات لا يجوز أن يفهم بالزوجات خلقن من جنسنا أو من بدنا بل يجب أن يفهم أنهن خلقن من جنس متساوية بنا.

وهناك الايات اخرى بحث إلى الاهتمام أيضا : لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. (التوبة : ١٢٨)

وقال : لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (ال عمران : ١٦٤).

تذكر كلتيهما هذه الاية بوضوح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنسنا كالإنسان وليس من جنس الملائكة. فالاحاديث الذي فسر بطبعة المرأة انها عوجت بسهولة هذه صفة من صفات المرأة كما في الاحديث التالية : عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وأن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا). (رواه البخارى ٤٨٩٠).

وقال رسول الله أيضا : عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المرأة كالضلع، إن أقمتهما كسرتهما) (رواه البخارى ٤٨٨٩ .) ذكر البخارى فى هذه الاحاديث ليبين صفة المرأة و فطرتها . السؤال هل الجسد المرأة قطع أو كسر بسهولة إذا أقمتهما أو أقام غيرها . طبعاً لا .

عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المرأة كالضلع. إذا ذهب تقيمها كسرتهما. (رواه مسلم رقم : ١٤٦٨)

أن الايات أو الأحاديث الذى كتبنا أنفا يجب ان يفهم بأسلوب بلاغى لان الرسول بلغ رسالته بصيغ تشبيه لماذا؟ لكي يفهم به السامع فهما عميقا ويهتم إهتماما بالغا ولا يفهم بالمعانى الخرفى.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبر بالمرأة كالضلع وليس المقصود بها للإهانة مكانتها ولكن تنبيهها للرجال ليلتفت الانظار إليها ويحمدها ويشيها ويربها ويحفظها , كل من المرأة والرجل مسؤول لبناء وتعمير الارض وما فيه سواء كان ما يتعلق بشؤون الدين والدنيا أو بشؤون الحياة الدنيا والآرة.

و لذلك الفهم الصحيح بالاحاديث أو الايات القرآنية فأنهدم أو إهدم الرأى السائد بقول أن المرأة أدنى من الرجل بل وقيل خلقت من ضلع أدام عليه السلام.

ج- أقسام الأسرائليات :

قسم العلماء (محدث حسين الذهبى :ص، ٣٦) ، الإسرائليات ثلاثة أقسام وفقا لموقفها من شريعتنا على النحو التالى :

أولاً: ما يوافق ما صح من شريعتنا

ذلك ما رواه مسلم عن فاطمة بنت قيس ذكرت فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس وقال لهم ((والله ما جمعكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعكم لأن تمىما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثا وافق الذى كنت

أحدثكم عن مسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة.....الحديث, أنظر صحيح مسلم, كتاب الفتن, باب قصة الجساسة.

ومن هنا كذلك ما ذكر صاحب موسى عليه السلام وأنه الخضر, وما يتعلق بالبشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبرسالته.

ثانيا : ما يخالف شريعتنا وعلمنا كذبه

مثل ما ورد في شأن الأنبياء وفيه طعن في عصمتهم بخاصة ماورد عن لوط ويوسف وداود وسليمان.

وقد ورد في صريح من النبي صلى الله عليه وسلم في الأخذ عنهم فقوله صلى الله عليه وسلم : (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب , وكتابكم الذي أنزل على نبيه - أحدث, تقرأونه لم يُشَب , وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه , وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله , ليشتروا به ثمنا قليلا, ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم , لا والله مارأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم أنظر صحيح البخاري , كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة, باب قول النبي : لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء. ومن أمثلة هذا القسم من الإسرائيليات ما ورد في أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعصا موسى من أي الشجر كانت , وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم عليه السلام .

ثالثا: ما ليس في شريعتنا ما يوافقه وما لا يخالفه, أي ما هو مسكوت عنه , فلا مؤمن به ونكذبه .

وقد يكون هذا القسم من هو المعنى مما رواه أبو هريرة حيث قال : كان أهل الكتاب يقرعون التورات بالعبرية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصدقوه ولا تكذبهم , قول أمنا بالله وما أنزل إليكم أنظر صحيح البخاري , كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة, باب قول النبي : لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء. ومن أمثلة هذا القسم من الإسرائيليات ما ورد في أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعصا موسى من أي الشجر كانت , وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم عليه السلام

أما رأي في هذه الأقسام فيتمثل في تحديد نوع واحد من الإسرائيليات وهو

المخالف لشريعتنا ويضم كذلك ما لم يرد فيه شيء. فالموافق لشريعتنا قد أصبح بعد إقرار الإسلام له من الإسلاميات ولا ينبغي أن نطلق عليه مصطلح الإسرائيليات، لأن الإسلام قد نسخ ما قبله. أما المخالفة لشريعتنا بطلانه واضح، والعمل على تنقية التفسير منه واجب.

أما المسكوت عنه فهو في الغالب أساطير وخرفات، إثم بقائها أكبر من نفعه، إذ يحول التراث الإسلامي إلى مجموعة من الروايات الذي لا يتفق به العقل والمنطق، بل والتي قد تتعارض أو تحتاج لمبررات كي تأخذ بها، ولسنا في حاجة إليها.

هـ . موقف علماء المسلمين من الإسرائيليات :

لما كانت هذا الإسرائيليات قد دخلت في غفلة من المسلمين إلى تراثهم وتفسير قراءاتهم فقد أنبرى علماء الأمة هذا التراث منا تسرب إليه من أحاديث وخرفات بني إسرائيل ولم تكن هذه المهمة سهلة حتى يومنا هذا ،

فالإسرائيليات التي دخلت التفسير كثيرة ومتشعبة حيث يتحدث القرآن عن بني إسرائيل كثيرا، كما أن العلوم الدينية والشرعية في الإسلام ليست حكرا على طائفة بعينها وإنما هي أمر مشارع للكافة وتنقية التفسير من مثل هذه الإضافات يتطلب صفات ومؤهلات خاصة لمن يتصدى لها ، ففى رأينا أنه لا يكفي أن نرد الرواية إلى خطورة الإسرائيليات بمجرد أن أحد رواها من مسلمة بني إسرائيل ، وإنما علينا أن نقف على أصلها وصدرها ، هذا يتطلب معرفة عميقة بتراث بني إسرائيل ولغاتهم ، لمعرفة الصالح من الطالح أى الهادم والصادق من الكاذب والصواب من الخطأ.

ولقد تنبه السلف إلى هذه الإسرائيليات وأشاروا إلى خطورتها ، فوجدنا على سبيل المثال ابن تيمية يعالج هذه القضية في رسالته معارج الوصول حيث يقرر أولا أن القرآن مستقل بذاته ، وليس صاحبه في حاجة إلى الكتب السابقة عليه ، بخلاف النصارى -مثلا- فهم بحاجة إلى التوراة ليتبينوا أحكام دينهم فيها . كما عالج ابن تيمية اقسام الإسرائيليات وموقف المسلمين منها في مقدمته في أصول التفسير. ضاربا لنا الأمثلة على كلى قسم منها.(أنظر ابن تيمية رسالته معارج الوصول ص، ٤٥).

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله : ((من المعلوم ان النبي صل الله عليه وسلم منع التحدث با الكذب، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لتعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله (إذا حد ثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم). ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه (انظر مجموع لابن تيميه، جمع عبد الرحمن بن قاسم ١٣/ ٣٦٦). أما ابن حجر فيقول في إجازة النبي للتحدث عن بني إسرائيل : (وقوله (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) أى لاضيق عليكم في الحديث عنهم لأ نه كان تقدم منه صل الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم و النظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار، وقيل معنى قوله (لا حرج): لاتضيق صدوركم بما تسمعون من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرا، وقيل لا حرج في أن لاتحدثوا عنهم لأن قوله الاول (حدثوا) صيغة أمر تقتضى الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله (ولا حرج) أى ترك التحديث عنهم وقيل المراد رفع الحرج عن حاكي ذلك لما في أخبارهم من الألفاظ الشنيعة نحو قولهم (اذهب أنت وربك فقاتلا) وقولهم (اجعل لنا إلها) وقيل المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب، والمراد حدثوا عنهم بقصص أضيهم يوسف، وهذا أبعد الأوجه) (ابن تيميه، ج ٢، ص: ٤٩٨).

وفي موضع آخر نجد ابن حجر يخصص النهى الورد في حديث ((لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم)) فيقول ((أى اذا كان يخبرونكم به محتملا لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه، أو كذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلاف، ولا عن تسديقهم فيما ورد شرعن بوفائه، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله) (ابن تيميه: ج ٧، ص: ١٨٠).

أما الإمام مالك فقد قال ((المراد جواز التحدث عنهم- أى بني إسرائيل بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا)) (ابن تيميه : ص: ٤٩٨-٤٩٩). ويبين ابن كثير موقفه من رواية الإسرائيليات في تاريخه فيقول ((ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله، وسنة رسول الله صل الله عليه وسلم، وهو

القسم الذى لا يصدق ولا يكذب، مما فيه بصط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لافائدة في تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلى به لا على سبيل الاحتياج إليه والا اعتماد عليه، وإنا الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله صل الله عليه وسلم، ما صح نقله أو حسن وما كان فيه ضعف نبينه.

((فأما الحديث الذى رواه البخارى رحمه الله صحيحه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: (بلغوا عني ولو آية، وحديثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدثوا عني ولا تكذبوا علي، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا فليس عندنا ما يصدقها ولا يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، وهذا هو الذى نستعمله في كتابتنا هذا فأماما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناء بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكيمته، إلا على سبيل الإنكار والإبطال)) (ابن كثير، ج ١ دار الفكر، بيروت ١٩٧٨، ص: ٦-٨).

فابن كثير يتبع في منهجه تقسيم الإسرائيليات الذى أشرنا إليه سابقا، ويحدد موقفه من هذه الأقسام النحو التالى :

أولا : جواز رواية ما وافق شرعنا على سبيل التحلى لا الاعتماد. ثانيا : جواز رواية المسكوت عنه للاعتبار. ثالثا : عدم جواز رواية ما خالف شرعنا إلا للإنكار والإبطال . وقد أقر ابن كثير بأحذه في كتابه بالقسم الثانى، إذا لا حاجة لما وافق. ولا ضرورة لما خالف. وفى القرن التاسع، يخرج علينا البقاعى، إبراهيم بن حسن، بكتابه ((مناسبات القراء)) حيث استشهد فيه بأمثلة من التورات، والزبور والإنجيل، ولما عاب العلماء عليه ذلك. ألف كتابه ((الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة)) ليرد به على معارضيه، وذهب في الفصل الثانى منه إلى جواز النقل من الكتب القديمة على فساد ما ذهب إليه أصحابها، ويستشهد في الفصل الثالث على صحة ذلك بمحاذة الرجم، ويذكر عدة أحداث من استشهاد النبي بالتوراة صحة ما يقوله ثم يذكر في الفصل الرابع شواهد يحسن الاستدلال بها، تمهيدا للإعلان عن رأيه والذى يقبل فيه النقل من الكتب القديمة، إذ يقول في الفصل الثامن إن حكم النقل عن بني إسرائيل الجواز وإن لم يثبت

ذلك المنقول وكذلك ما نقل عن غيرهم من الكفار لأن المراد منه هو الاستثناس بخلاف ما نستدل به في شرعنا فإنه العمدة في الاحتجاج بالدين، فلا من ثبوته.

ويقسم البقاعى المنقول إلى ثلاثة أقسام فيقول ((والذى عندى من الأدلة ثلاثة أقسام موضوعات وضعاف وغير ذلك. فالذى هو ليس بموضوع ولا ضعيف مطلق ضعيف، يرد للحجة، والضعيف المتعاسك يذكر للترغيب، والموضوع يذكر لبيان التحذير منه، فإذا وازنت ما ينقله أئمتنا عن أهل ديننا للاستدلال بشرعنا عن ينقله الأئمة عن أهل الكتاب، سقط من هذه الأقسام الثلاثة في النقل عنهم ما هو للحجة، فإنه لا ينقل عنهم ما يثبت به حكم من احكامنا ويبقى ما يصدقه كتابنا فيجوز نقله وإن لم يكن في حيز ما يثبت لأنه في حكم الموعظة لنا، وأما ما كاذبه كتابنا فهو كالموضوع، لا يجوز نقله إلا مقرونا ببيان حاله)) (أبو الفداء الحافظ، ص: ٤١-٤٢). والفرق بين رأى ابن كثير ورأى البقاعى يتمثل ابن كثير لم ينظر إلى رواية وإنما اعتد بطبيعة المنقول إليه من ناحيه الاتفاق أو الاختلاف مع الشرع، أما البقاعى فاعتد بالسند و بطبيعة المنقول إليه، كما نظر فيما يتصل بالنقل إلى الأحكام العملية ثم إلى ما سواها من القصص. وإذا نظرنا إلى أمهات التفاسير الموجودة بين أيدينا ودققنا النظر في موقف أصحابها من الإسرائيليات على ضوء ما بيناه أنفاً، أمكننا الوقوف على ما يلي :

أولاً : تفسير البحر المحيط لأبي حيان (انظر: طبقات المفسرين للداودى. دار الكتاب العربى، بيروت، ج ٢، ص: ٢٨٩). اعتمد أبو حيان في تفسيره على ما ألف قبله من تفاسير وبخاصة الكشف للزمخشري والمحرر الوجيز لابن عطية حيث رجع إليهما كثيراً ونقل عنهما، وتعقب أقوالهما في بعد الأحيان بالرد والتفنيد وبخاصة في مسائل النحو، ويغلب على هذا التفسير الاهتمام بالمسائل اللغوية وبعلم الكلام. أما موقف صاحب التفسير من الإسرائيليات فيتمثل في إعراض أبي حيان كثيراً عن ذكر الإسرائيليات، فهو من المقلين في هذا الجانب، ويتضح إعراضه هذا في هذا النموذج الذى نسوقه لبيان منهجه، حيث يقول في تفسير قوله تعالى ((وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل)) البقرة: ١٢٧ ما يلي : ((ذكر المفسرون في ماهية هذا البيت وقدمه وحدوثه ومن أى شئ بابه وكم مرة حجه آدم ومن أى شئ بناه إبراهيم ومن ساعده البناء قصصاً

كثيرة , واستطردوا من ذلك للكلام في البيت المعمور , وفي طول آدم ... وفي
الحجر الأسود, وطولوا في ذلك بأشياء لم يتضمنها القرآن ولا الحديث الصحيح, وبعضها
ينقض بعضا, وذلك على جرى عادتهم في نقل مادب ولا درج ولا ينبغي أن يعتمد إلا
على ماصح في كتاب الله وسنة رسول الله صل الله عليه وسلم)). (ابو
حيان, ج ١٩١٣, ٢, ج ١/٣٨٧)

ويتضح مما سبق موقف أبو حيان الذي يمثل أمرين أساسيين هما:

❖ الإعراض عن استطرادات المفسرين السابقين عليه.

❖ الاعتماد على ماصح من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط.

ثانيا : أنوار التزويل وأسرار التأويل للبيضاوى توفى سنة ٦٧٤ هـ — .

ويقع تفسيره في مجلدين توسط فيهما بين البسيط والاحتصار, ويتضح من مقدمته إعماده
على النقل والتأويل , ومال إلى الإيجاز وصاغ تفسيره بعبارات محكمة ودقيقة, وقد تأثر
البيضاوى بتفسير الكشاف للزمخشري في القضايا البلاغية وتفسير مفاتيح الغيب للرازي
في بيان الآيات الكونية , كما تأثر بتفسير الراغب الاصفهاني كذلك , ولقى هذا
التفسير إهتمام العلماء فعلقوا عليه ووضعوا له الحواشي التي زاد عددها على الأربعين
أنظر نشأة التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية , القاهرة , ط ١, ١٩٨٧ م :
٢٠٢ .

أما فيما يتعلق بموقفه من الإسرائيليات , فقد كان مقلداً في ذكرها اتفاقاً مع منهجه في
عدم الاستطراد وإن كان قد وقع في أحابيل الأحاديث الضعيفة والموضوعة وبخاصة وتلك
الأحاديث الخاصة بفضائل السور, وقد قام الباحثون العلماء بتحقيق ماجاء فيه من روايات
واهمة, وكان أبرز هذه التحقيقات كتاب الفتح السماوى في تخريج أحاديث البيضاوى
للشيخ عبدالرءوف المناوى.

ثالثا : تفسير القرآن الكريم لابن كثير .

موقف ابن كثير من رواية من خلال ما عرض له تاريخه . وتستكمل هنا موقفه من خلال
تفسيره للقرآن العظيم والذي يعتبر من أشهر ما دون في التفسير المأثور بل يعبر الكتاب

الثاني بعد تفسير الطبري حيث فسر القرآن الكريم بالأحاديث والأثر مسندة إلى أصحابها مع جرح وتعديل لمن بحاجة إلى ذلك من الرواة , كما كانت رؤية نقدية تجاه ما يعرضه من الأقوال فيرجح بعضها على آخر , ويضعف بعض الروايات ويصحح أخرى . -

وقد نقل ابن كثير من تفسير الطبري ومن تفسير ابن عطية وغيرهما .
ويمتاز هذا التفسير فيما يتعلق بالاسرائيليات - بتنبية صاحبه إلى الروايات الاسرائيلية مخذرا منها .

ففي تفسيره لقوله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخَبُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا** **قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** (البقرة ٦٧) . يروى كل ما قبل عن السلف من روايات عجيبة ثم يقبها قائلا : ((والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني اسرائيل , وهي مما يجوز نقلها , ولكن تصدق ولا تكذب , فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا , والله أعلم .
وموقفه هذا يتفق مع ما أشرت إليه من قبل فيما يتعلق بتقسيمه للإسرائيليات وموقف الكاتب منها .

عندما يذكر ماروي عن السلف في تفسيره لأول سورة ق نراه ينسب ما قيل لخرافات بني اسرائيل والتي يوضح هدف بثها قائلا : ((وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زناديقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم)) . (ابن كثير: ٢٢٣) . ثم يتبع ذلك بيان وتقسيم للإسرائيليات على نحو ما بيناه أنفا فهذا عرض خاطف , وإشارة موجزة لموقف أشهر المفسرين الذين تركوا لنا أمهات في التفسير , أخذ عنها اللاحقون وتأثر به من جاء بعدهم من المصنفين الباحثين . ويتضح مما سبق , أن هؤلاء المفسرون لم يقفوا موقفاً واحداً مما نقلوه ورووه من الإسرائيليات , بل إن المفسر الواحد ليتخذ في رواياته مواقف متباينين فتارة ينقد , وأخرى نراه فيما يصمت . كما أن موقفهم مع ما ساد في عصورهم من تقسيم للإسرائيليات وحكم رواية كل قسم منها . ويمكن أن نقرر بعد الاطلاع على العديد من هذه التفاسير , أن موقف السلف من الإسرائيليات قد اتسم بالتساهل عموماً , وإلما وصلت إلينا عبر سطورهم ومصنفاتهم أشراط الروايات

الإسرائيلية التي يرفضها الإسلام، كما يرفضها العقل والمنطق، الأمر الذي يحمل الباحثين المعاصرين مهمة ليست بسيطة ولاهينة، من أجل البحث والتنقيب هذه الكتب، وتنقيتها مما يشوبها من إسرائيليّات و نصرانيّات.

وأوهام وخرفات و أسطيرا حتى تبقى ناصعة مشرقة، وتغلق أبواب الطعن في وجوه المتربصين بديننا وقرآننا وسيرة نبينا ، والله المستعان على ما يصفون . وإذا تركنا مناهج مفسري السلف، سواء ممن فسر بالمأثورة كابن كثير أو ممن فسر بالرأى كالرازي والخازن والآلوسي وغيرهم، لنلقى نظرة على مناهج المفسرين والمحدثين، يمكننا أن نحدد ملامح مدرسة صبيغ البعض. تفاسيرها بلون أدبي إجتماعي . (محمد حسين الذهبي ، ج ٢ ص ٥٢٣). وأطلق آخرون عليها المدرسة العقلية الحديثة لوجود تشابها بينها في المواقف وبين فرسان العقل السابقين من المعتزلة وأشباههم. (محمد حسين الذهبي ، ج ١ ص ٣١٦)

ولعل أبرز رجال هذه المدرسة جمال الدين الآفغانى ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا ومحمد مصطفى المراغى ومحمد فريد وجدى ومحمود شلتوت و عبد العزيز جاويز وعبد القادر المغربي . (محمد رشيد رضا، ص ، دار المنار، ١٣٧٣ الهجرى/ ١٩٥٤، ٧٢٠)

وسنعرض هنا لمواقف بعض هؤلاء فيما يتعلق بالإسرائيليّات من خلال تفاسيرهم وكتاباتهم حول هذه القضية دون الخوض في وجهات نظر أصحاب هذه المدرسة في القضايا الأخرى، فهذا له مقام آخر. ولذلك شن رجال هذه المدرسة حربا لاهوادة فيها على الإسرائيليّات ورواها، وبالغوا في التحذير منها والتهويل من شأنها. ففى تفسير قوله

تعالى : **وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ** ﴿٥٨﴾ البقرة : ٥٨ ، يورد الآمام محمد عبده أقوال المفسرين السابقين فيها ثم يعلق عليها قائلا : ومنشأ هذه الأقوال الروايات الإسرائيلية ، وللإهودى فى هذا المقام كلام كثير وتأويلات خدع بها المفسرون. (السيد محمد رشيد رضا، الهجرى/ ١٩٥٤ ملادية/ ٣٢٥)

وقبل هذه العبارة نراه يعيب على المفسرين السابقين ما وقعوا فيه فيقول ((كما ولعوا بحشوها بالقصاص و الإسرائيليّات التى تلقفوها من أفواه اليهودى وألصقوها بالقرآن لتكون بيانا له وتفسيرا وجعلوا ذلك ملحقا بالوحى والحق الذى لا مرية فيه أنه لا يجوز

الحاق شئ بالوحي غير ما تدل عليه الفاظ وأسانيه إلا ما ثبت بالوحي عن المعصوم
الذي جاء به ثبوتاً لا يخالطه الريب)). (رشيد رضا , جـ ١ ص ١٧٥ دار المنار,
١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م / ٠٣٢٥)

ثم تأت الحملة الشعواء على الإسرائيليات من على صفحات بفسير المنار , إذ صاحب
الاستاذ محمد رشيد رضا : ((كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير
يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية والهداية السامية , فمتها ما يشغله عن القراءة
مباحث الإعراب وقواعد النحو ... وبعضها يلتفتة عنه بكثرة الروايات وما مزجت به
من خرافات الإسرائيليات وأكثر التفسير المأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة
اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب. (المرأى , ج ١ / ٧٨).

ويتفق محمد رشيد رضا مع السلف في بعض رأيه حيث يقول : ((والمراد من
النهي عن سؤالهم أى أهل الكتاب النهى عن سؤال الاهتداء وتلقى ما يروونه بالقبول
لأجل العلم بالشرائع الماضية وأخبار الأنبياء لزيادة العلم او التفصيل لبعض ما أجمله
القرآن وسببه ماهو ظاهر من السياق وهو أنهم لنسيانهم بعض ما أنزل إليهم وتحريفهم
لبعضه بطلت بالثقة بروايتهم , فالمصدق لها عرضة لتصديق الباطل , والمكذب لها
عرضة لتكذيب الحق إذ لا يتسر لنا أن نميز فيما عندهم بين المحفوظ المسالم من
التحريف وغيره فالاحتياط ان لا نكذبهم ولانصدقهم إلا إذا رويوا شيئاً يصدقه القرآن
أو يكذبه , فإننا نصدقه ما صدقه ونكذب ما كذبه , لأنه مهيمن على تلك الكتب ,
وشهيد عليها , وشهادته حق لأنه نزل بالحق, وحفظه الله التحريف والتبديل. (رشيد
رضا ٦ / ٤١٢) . لكن صاحب الرأى السابق , قد تخطى حدود ذلك المنهج ,
فوقع في بعض المأخذ التي سنشير إليها في هذا المقام . لقد كان من نتائج حماس هذا
الفريق في مقاومة الإسرائيليات أن كذب أصحابه ببعض الروايات مع موافقتها لما صح
من شريعتنا , كما ردوا بعض الاحاديث التي توافقها وإن كانت واردة في كتب
الصحيح , بل لقد تمادوا في اسلوبهم الرافض وقاموا بتحريج بعض الصحابة
والتشكيك في إيمان بعض التابعين , ممن شهد لهم سلف بالعدالة , وروى لهم البخارى
ومسلم وغيرهما .

ففى حديث الجساسة الذى رواه مسلم فى صحيحه .(انظر مسلم بشرح النووى كتاب الفتن, باب الجساسة ج ١ / ٧٨ - ٨٥). نرى محمد رشيد رضا يعلق عليه قائلاً : والجملة القول فى حديث الجساسة أن مافيه من العلل والاختلاف والأشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع وانه على تقدير صحته ليس كله فى حكم المرفوع (انظر تفسير المنار , ٩/ ٤٥٧).

أما حديث البخارى الذى رواه عن أبى هريرة رضى الله عنه فى كتاب التفسير (قيل لبنى إسرائيل أدخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاهم , فبدلو وقالوا حطة حبة فى شعراء.) انظر صحيح البخارى , كتاب التفسير , سورة البقرة ج ٦ / ٢٣ , قال عنه محمد رشيد رضا بأنه ((لا يخلو من علة إسرائيلية)) (تفسير المنار ١/ ٣٢٥).

وذم محمد رشيد رضا بعض الرواة الثقات كـوهب بن منبه وكعب الأحبار, فيقول عن روايات الأول : ((وهذا من الخرافات التى اختلقها وهب, ليس لها أصل عند اليهود ولا عند المسلمين ولولا جنون الرواة بطل ما يقال عن بنى إسرائيل لما قبلوا من مثله أن يشرب مئات الألوفاً أو الملايين من حجر صغير,) انظر تفسير المنار, ٩/ ٣٤٣.

أما نصيب كعب الأحبار فقد كان كبيراً بحق : إذ يقول صاحب المنار عنه ((.. بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين ليفسد دينهم وستهم, وخدع به الناس لإظهاره التقوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم)) (انظر تفسير المنار , ٩/ ٤٥٧). ويقول أيضاً ((ولكن البلية فى الرواية عن مثل كعب الأحبار ومن روى أبو هريرة وابن عباس, ومعظم التفسير المأثور مأخوذ عنه وعن تلاميذه ومنهم المدلسون كفتادة وكذا من كبار المفسرين كابن جريج.) انظر تفسير المنار , ٩/ ٤٦٦). ويقول فى موضع آخر: ((وقد هدانا الله من بل إلى حل بعض مشكلات أحاديث أبى هريرة المعنونة على الرواية عن كعب الأحبار الذى أدخل المسلمين شيئاً كثيراً عن الإسرائيليات الباطلة و المخترعة وخف على كثير من المحدثين كذبه ودخله لتعبده)) (رشيد رضا , ٨/ ٤٩٩).

ويعود ليؤكد على خطورة وهب وكعب فيقول عنهما: ((ثم ليعلم أن شر رواية هذه الإسرائيلية أو أشدهم تلييساً وخداعاً للمسلمين هذان الرجلان: كعب الأخبار ووهب بن منبه)) (مجلة المنار، ج ١٠، المجلد ٢٧ ص ٧٨٣).

وهذا هو الشيخ أحمد مصطفى المراغي، يشن حملته على وهب وكعب، فيقول في تفسيره للآية الكريمة في سورة الأعراف الآية ١٠٧ « **فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ** » ، ((وقد ذكر رواية التفسير بالمأثور عدد روايات غاية في الغرابة في وصف الثعبان، ليس لها سند يوثق به، وما هي الإسرائيلية تلقفها المفسرون من أهل الكتاب الذين كانوا يكيدون للإسلام وللعرب كروايات وهب بن منبه وهو فارسي الأصل.. ومثله روايات كعب الأخبار الإسرائيلي، وقد كان كلاهما كثير الرواية للغرائب التي لا يعرف لها أصل معقول ولا منقول، وقومهما كانوا يكيدون للمسلمين الذين فتحوا بلاد الفرس وأجلوا اليهود من الحجاز. (المراغي، ٩/ ٢٤). المهم في هذا المقام أن نشير إلى أن جمهور العلماء قد عدل ووثق كلاً من وهب وكعب، ونشير أيضاً إلى أن أبا هريرة وابن عباس رضي الله عنهما، وغيرهما من صحابة، قد رووا عن كعب، ونستعبد أن يروى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كذاب ضاع لا يثق أحد في إيمانه على نحو ما ذهب الشيخ محمد رشيد رضا.

كما روى البخاري لوهب بن منبه، وكذلك أبو داود والترمذي والنسائي! قال الذهبي في الميزان: كان ثقة صادقاً كثير النقل من كتب الإسرائيليات، قال العجلي: ثقة تبع كان على قضاء صنعاء وقد ضعفه الفلاس وحدة ووثقه جماعة، (انظري أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ميزان الاعتدال في نقد الرجال البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٤م ج ٤/ ٣٥٢-٢٥٣)، وقال أبو زرعة والنسائي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، (ابن حجر العثقلاني: ١٩٨٤م ج ١١/ ١٦٧)، ويعتمد عليه البخاري ذاته ويوثقه، (محمد حسين الذهبي: ج ١ ص ١٩٢/ ١٩٧).

وعلى الرغم من شدة الحملة التي شنّها أصحاب هذا الاتجاه على روايات الإسرائيلية ورواياتهم أنفسهم قد وقعوا في روايتها، بل وفي رواية خالف منها نص القرآن، وقد فطن الشيخ محمد الحسين الذهبي إلى ذلك وقال: ((وكان الأجدد بهذا المفسر - يقصد به أصحاب

المنار - الذى شدد النكير على اعشاق الإسرائيليات أن يكف هو أيضاً النقل عن كتب من أهل الكتاب خصوصاً وهو يعترف أنه قد تطرق إليها التحريف والتأويل. (انظر محمد حسين الذهبي، المرجع السابق ج ٢ ص ٥٦٣).

أما ما وقع فيه -على سبيل المثال -علم هذه المدرسة العقلية، محمد رشيد رضا، من الإسرائيليات فنجد فيها قوله: روى نحو هذا ابن جريج قال حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: وكان بالقوتين اللتين سارتا بالتأبوت أربعة من الملائكة يسوقونهما. (رشيد رضا، ج ٢).

ح - أبرز رواة الإسرائيليات في التفاسير:

الدارسون لكتب التفاسير بالمأثور يذهبون إلى أن الروايات الإسرائيلية تأتي في الغالب عن طريق أشخاص بأعيانهم، وقد عدهم العلماء أقطاباً للروايات الإسرائيلية، وهؤلاء هم عبد الله بن سلام وكعب الأحمار ووهب بن منبه. وقد اختلفت وجهات النظر تجاه هؤلاء وذلك حسب موقف كل فريق من هذه الروايات، ومن ثم وجدنا من رفعهم إلى عليين، ومنهم من رماهم إلى أسفل سافلين. ولعلنا في هذه العجالة نعرف بكل من هؤلاء الثلاثة، ثم نبين مكانتهم في الإسلام، ومبلغهم من العلم، حتى إذا ما اتهمنا من دراستنا هذه تبين حقيقة مواقعهم من الإسرائيليات وروايتهم.

أولاً: عبد الله بن سلام.

هو أبو يوسف، عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري، حليف القواقل من بني عوف من الخزرج، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام. أسلم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

وقصة إسلامه كما يوردها البخاري نشير إلى مكانته بين قومه، إذ قالوا عنه ((ذلك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا)). (انظر البخاري باب الهجرة ج ٥/ ٨٠). ولقد أخرج البخاري له باباً في مناقبه عند الكلام عن مناقب الأنصار حيث قال: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت هذه

الآية (وشهد شاهد من بني إسرائيل)..الآية. (انظر المصدر السابق، ج ٥/ ٤٦ والآية في سورة الأحقاب/ ١٠). كما اورد البخارى أحاديث أخرى تبين مكانته ، وبشرى النبي صلى الله عليه وسلم. (البخارى باب الهجرة ج ٥ / ٤٦ . والآية في سورة الأحقاب/ ١٠).

وقد روى عبد الله بن سلام النبي صلى الله عليه وسلم. وروى عنه إبنه : يوسف ومحمد، وعوف بن مالك، و أبو هريرة، وابو بردة بن أبي موسى، وعطاء بن يسار، وغيرهم وشهد مع عمر رضي الله عنه فتح بيت المقدس والجابية، ومات با المدينة سنة ٤٣ هجرى وقيل غير ذلك. ويرى البعض أنه البدرين، أما ابن سعد فقد ذكره في الطبقة الثالثة ممن شهد الخندق وما بعدها.

ولقد اشتهر بين الصحابة بالعلم، كما اشتهر من قبل بين قومه بالعلم أيضاً، وقد نقل المسلمون عن الكثير، وينسب إليه الطبرى تاريخه كثيرا من الأقوال في قضايا تاريخيه ودينية، وترتبط به رواية الإسرائيليات التى ينبغى علينا تمحيصها وعرضها على مقياس الصحة المعتبرة في باب روية، فان صح قبلناه، وما لم يصح رفضناه، دون أن نهمز أو نلمز في حق هذا الصحابي، فقد يكون ما لا يصح قد وضع على لسانه دون أن يقوله، وإذ اكان الموضوعون قد كذبوا على من هو أعظم منه - رسوالله صلى الله عليه وسلم- فهل يستبعد أن يفترى على عبد الله بن سلام من اليهود من أنفسهم، انتقاما منه لإسلامه، ونكاية فيه؟!

ويمكن القول، بأننا لانجد اتماما موجحة اليه، على نحو ما نجده تجاه كعب ووهب، كما لا نجد من طعن في علمه من القدماء أو المحدثين. (ابن حجر العسقلاني: ١٩٨٤ م ج ٥ ص ٢٤٩، أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٢٦٤- ٢٦٥). إلا من كان من الكتاب المتأخرين الذين تأثروا بمقولات المستشرقين ونوايا هؤلاء، وبخاصة اليهود منهم، تجاه الإسلام والنبي والصحابة لا ينقصها الخبث والعداوة وسوء الظن، (محمد بن محمد أبو شهبة، ص ١٤١ - ١٤٢).

ثانيا: كعب الأحبار.

هو كعب بن مانع بن قيس من آل ذى رعين وقيل : ذى الكلاع الحمير , يكنى بأبي اسحاق, أصله من يهود اليمن , ويقال إنه أدرك الجاهلية وأسلم في خلافة أبي بكر , وقيل في خلافة عمر وقيل إنه أسلم النبي صل الله عليه وسلم وتأخرت هجرته , ومن ثم لم يره , وقال ابن حجر فى الفتح, إن إسلامه فى خلافة عثمان إلى الشام فسكنها إلى أن مات بحمص سنة ٣٢ هـ — على الأرجح, وقد ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام .

روى عن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسلًا, وعن عمر , وصهيب , وعائشة , وروى عنه ومعاوية , أبو هريرة وابن عباس وعطاء بن أبى رباح وغيرهم .

وكان كعب بن على مبلغ عظيم من العلم ولذا كان يقال له كعب الخير (انظر لسان العرب ٧٨٢/٢).

وكعب الاحبار(وهو لفظ كان يلقب به العالم لكثرة كتابته) كان على علم واسع بالثقافة اليهودية والإسلامية,

وقد روى ابن سعد فى طبقاته حكاية عن رجل دخل المسجد فإذا عامر بن عبد الله بن قيس جالس إلى كتب وبينها سفر من أسفار التوراة وكعب يقرأ أنظر دافيد سحيف, ج . ولهذا يدل على أن كعبا رغم إسلامه كان يرجع إلى التوراة والتعليم الاسرائيلية. ولا نجد من بين علماء الجرح و التعديل. لجرح و التعديل هو علم خاص يوصف الرواى الحديث بما يقتضى عدم قبول روايته(الجرح) أو قبول روايته (التعديل) حول هذا العلم وعلمائه من طعن فيه أو اتهمه بالوضع والاختلاق, والجمهور على توثيقه, ولا ذكر له فى كتب الضعفاء والمتركين, وقد كان الصحابة كابن عباس و أبى هريرة وغيرهما يروون عنه, كما خرج له الإمام مسلم فى صحيحه فى موضع ممن أواخر كتاب الإيمان, كما خرج له أبو داود الترمذى النسائى, وهذا فى حد ذاته دليل على كعبا كان ثقة. (أحمد عمر هاشم, ١٩٩٠ م ص ١٩٩-٢١١). ونحن لانتهم كعبا هنا بالكذب أو الوضع أو الاختلاق, وإنما نعيب عليه ((ترويجه)) لهذه الاسرائيليات التى ضمت بين دفتيها ماهو كذب وماهو صدق,

وكان حريا بكعب وأقرانه بل وبالصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين مراجعة مرويات أهل الكتاب فعلى كعب تقع مسئولية كبيرة في نقل تلك الروايات عن أسلافه دون تمحيص، وكان الأجدر به أن يتمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم ((من حدث بحديث يرى عنه كذب، فهو أحد الكاذبين)).

وكما أننا لا نسير رواء الطاعنين، فلا نسير أيضا روى المدافعين بلا حدود، وإذا يحاول الشيخ الذهبي - رحمه الله - أن يرىء ساحة كعب بقوله: ((وإذا كانت هذه الإسرائيليات المروية عن كعب وغيره، قد أثرت في عقيدة المسلمين وعلمهم أثرا غير صالح، فليس ذنب هذا راجعا إلى كعب وأضرابه لأنهم رووه على أنه مما في كتبهم ولم يشرحوا به القرآن بهذه الإسرائيليات، فربطوا بينها وبينه على ما بينهما من بعد شاسع، وزادوا على ذلك ما نسجوه من قصص خرافية، نسبوها لهؤلاء الأعلام، ترويجا لها وعمويها على العامة).

فالذنب إذن ذنب المتأخرين الذين ربطوا هذه الإسرائيليات بالقرآن وشرحوه على ضوئها واخترعوا من الأساطير ما نسبوه زورا وبهتانا إلى هؤلاء الأعلام وهم منهم براء، (الذهبي، ج ١/ ٨٨). والحقيقة أن دفاع الشيخ الذهبي عن كعب وأقرانه يحمل في طغيانه اتقاما لهم دون قصد، فعبارته ((لأنهم على أنه مما في كتبهم)) تعني أنهم لازالوا رغم إسلامهم يعتقدون أنها كتبهم وأنه صالحة للأخذ منها دون تمحيص. كما أن الذهبي قد خص كعبا وأقرانه برواية ما يتفق من الإسرائيليات مع القرآن، وتفسير الطبري يشهد بعكس ذلك لمن أراد التثبت من ثبات الدفاع عن هؤلاء الرواة أو من وهنه.

ثالثا : وهب بن منبه.

هو أبو عبد الله، وهب بن منبه بن سيج بن ذى كناز، اليماني الصنعاني. قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه: كان من أبناء فارس، وأصل والده (منبه) من خراسان من أهل هراة، أخرجه كسرى منها إلى اليمن فأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ولد وهب في خلافة عثمان ومات على الرجع سنة ١١١ الهجرى. روى عن أبي هريرة و أبي سعد الخدرى، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمر بن

العاص, وجابر وأنس وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين. ورواى عنه و عبد الله وعبد الرحمن وعمر بن دينار وغيرهم, أخرج له البخارى ومسلم والنسائى والترمذى و أبو داود, ويعدّه العلماء من خير علماء التابعين, إذ كان كثير الاطلاع على الكتاب القديمة, وقد وثقه الجمهور, وخالفهم الفلاس فقال : كان ضعيفا وكان شبهته في ذلك أنه كان يتهم بالقول في القدر. ولانفى وهب بن منبه مسئولية إدخال الإسرائيليات بما فيهما من القصص الباطلة إلى كتب التفسير. (وفیات الأعيان , ج ٢, ٢٨٣). إذ كان سببا في روايتها , وشيوعنا ولو فطن إلى خطورتها لأراحها من عناء الكثير, أما ما ذهب إليه البعض من أنه لم يضع أو يختلق هذه الروايات , فحسبه إثم نقلها , وهو يعلم بطلانها الواضح , لتنافيها وعدم اتفاقها على الإطلاق مع ما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله وسلم , وتفسير ابن جرير الطبرى يدل على ذلك في هذا المقام . واحقا نذكرها هنا أن الجمهور قد وثقه , واعتمد البخارى وغيره لحديثه وقال العلماء من السلف بورعه وصلاحه (تهذيب التهذيب : ج ١ / ١٦٦ - ٨١٦ , ميزان الاعتدال , ج ٣ / ٢٧٨).

والملاحظ على هؤلاء الأقطاب الروايات الإسرائيلية, أنهم لم ينسبوا آيا منها إلى النبي صلى الله عليه وسلم , ولم يخترعوها أو يلفقوها من عندهم, وإن كانت لهم مصادرهم الإسرائيلية التي نقلوا عنها, فرويتهم للكذب والاختلاق لا تعنى أنهم الذين كذبوا أو اختلقوا, ولكنها دليل دامغ على أنهم كانوا و سطاء في حمل و نقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين.

ولا نستطيع أن ندفع عنهم تلك الحقيقة , معتمدين على جواز رواية بعض الإسرائيليات لموافقتها, لأننا كما أشرنا, سنجدهم قد رووا ما يخالف وفتحوا الباب أمام الضعفاء الايمان كى ينسبوا إليهم المزيد من الضلالة و الافتراءات التي تتفق ونوع بعض ما روه .

نحن لا نطعن في إيمانهم على نحو ما وجدنا عند المحدثين كالشيخ رضا أو الاستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام إذ نتوقف عند الحكم على إيمانهم , ونكلهم إلى من يعلم

حائنة الأعين وما تخفى الصدور, ولكننا نكرر على مسؤوليتهم الكاملة عما روه واحتوى على الأكاذيب وبخاصة انهم قد اشتهروا بالعلم , على ما بينا , والله المستعان.

ح. لغة المصدر الرئيسى للإسرثيليات فى التفسىر:

فضية لابد نوضحها فى هذا المقام, ألا وهى اللغة التى نقل عنها الرواه نقلوه من الإسرثيليات , بمعنى آخر: هل كان هناك مصدر عربى لهذه الإسرثيليات فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة, أم أن النقل قد تم عن نصوص عبرية ؟!

الرأى السائد لدى الباحثين يتمثل فى أن أول ترجمة عبرية للكتاب المقدس , إنما قد قام بها ((يوحنا)) اسقف أشبيلية فى عام ٧٢٤ م . أى بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بنحو قرن من الزمان, ثم قام بعد ذلك اليهودى سعديا الفيومى (٨٩٢-٩٤٢م) بترجمة التوراة إلى اللغة العربية , وشرحها إبراهيم بن عزرا , ثم جاء اليهودى موسى بن ميمون (١١٣٠-١٢٠٤) فقدم تفسيراً عقلياً للتوراة . وفى عام ١٢٥٠ م قام وهبة الله بن العسال بترجمة الكتاب المقدس من القبطية إلى العربية . أنظر محمد مهرا ن . دراسات فى حضارات الشرق القديم , إسرائيل مكتب التونى , الإسكندرية ص ١١٩).

ولكنى لأتفق مع هذا الرأى , إذ يبدو لنا من خلال نصوص القراءان الكريم والحديث الشريف وروايات السيرة, أنه كانت هناك على الأقل ترجمة عربية لبعض أسفار العهد القديم فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما يتفق والنصوص التى وقفت عليها من الاسرثيليات فى تفسير ابن جرير. من الواضح إذن أن اليهود النصرانى العرب, كانوا يعيشون فى شبه جزيرة قبل الاسلام بمئات الأعوام ولا يمكن لنا أن نسلم بهذا الوجود اليهودى النصرانى العربى دون أن يكون لأصحابه لسان عربى كلسان أهل الجزيرة ومن ثم فمن المستبعد ألا يكون هؤلاء جميعاً كتاب دينى باللغة العربية , خاصة وان هناك اجيالاً ولدت ونشأت وترعرعت فى البئية العربية وخضعت لمؤثراتها وهو ما يحتم وجود ترجمة للتوراة والإنجيل بالعربية , ولا غرو فى ذلك , فقد ترجمة اليهود فى القرن الثالث قبل الميلاد لإخوانهم ممن غلب عليهم اللسان اليونانى , التورات الى اليونانية , مما يفتح أمامنا احتمال اتمام الترجمة العربية لكل أو بعض أسفار

العهد القديم . (قاموس الكتاب المقدس بيروت لبنان ، ج ٢ ، ص ٧٦٨ وما بعدها).
الأدلة على وجود هذه الترجمة :

أولا : الأدلة القرآنية على وجود ترجمة عربية لكتب اليهود :

أ) يقول الحق سبحانه وتعالى عن اليهودى : «وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٨٠﴾ » البقرة ٧٨-٧٩.

وتشير الآية الكريمة إلى ما يلي :

١ . وجود يهودى أميين علمهم بالتوراة محدود إلا أنهم على أية حال على علم بما في هذا الكتاب.

٢ . طالما كان هؤلاء اليهود عرباً قوداً أو غلب عليهم اللسان العربى - لمعيشتهم قبل النبى صلى الله عليه وسلم بمئات السنين فى الجزيرة العربية - فلا سبيل له إلا الإطلاع عليه أو على بعضه بالعربية .

٣ . تحذر الآية فريقا من اليهود يكتبون التوراة ويضيفون عليها أو ينقصون منها افتراء على الله لهذا الفريق الأسمى من بنى دينهم , ولعل هذا النقص أو تلك الزيادة إنما ترجع لعدم الدقة فى ترجمة النص الأسمى.

ولعل استنكار القرآن لمقالة اليهود ((هذا من عند الله)) لا يرجع إلى أن مايقدمونه لإخوانهم هو من وضع أنفسهم, وإنما لتصرفهم فى معنى ماينقلونه من الكتاب , ويؤكد هذا ما وصف مايكتبونه بالكتاب أى بالتوراة ذلك لاشتماله ضمنا على بعض ماجاء فى التوراة مع الزيادة أو النقصان .

وإذا علمنا أن معظم ترجمات النصوص التورتية التى فى القرنين الاول والثانى الهجريين كان بالمعنى دون التزام بالنص الحرفى , أدركنا مدى مايمكن أن يدخل فى النص الأسمى من تحريف.

ب) يقول الله تعالى في موقف كفار العرب من الرسول صلى الله عليه وسلم .

((وَقَالُوا أَأَسْطِطِرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا))

الفرقان: ٥. فالانتماء الموجه للرسول عليه الصلاة والسلام يعني أنه يستمد مايتلوه من قراء من كتب أصحاب الديانات السابقة كاليهود والنصارى هذا يستلزم معرفة النبي بلغة تلك الكتب (العبرية والآرامية) معرفة تاما ولايقوم دليل واحد على معرفة الرسول بمثل هذه اللغات.

ج) . يقول الله تعالى عن بني إسرائيل .

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠١﴾

فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٢﴾

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٣﴾

ال عمران: ٩٣-٩٥)).

تشير الآيات السابقة إلى الاختلاف بين النبي وبين اليهود حول قضية

وبعيناها يطلب النبي حلها الاحتكام إلى نص التوراة ويتم ذلك التحكيم ليثبت افتراء اليهود وظلمهم وصدق الله ورسوله. والسؤال هنا : كيف يتحاكم النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود بنص لايعرف أحدهما لغته؟ المنطق يقول إنه لايد وأن يكون النص بلغة مشتركة بين الجانبين لتقام الحجة، وكما سبق أن ذكرنا ليست هناك أدنى شبهة على معرفة النبي للعبرية أو الآرامية ومن ثم يكون الأرجح ان النص كان عريباً، لمعرفة الرسول بالعربية وكذلك اليهود العرب.

ثانيا : الأحاديث الدالة على الترجمة العربية لكتب اليهود:

أ) روى البخارى في صحيحه قال: ((حدثنا مسدد، حديثنا إسماعيل عن أيوب عن نافع ان ابن عمر قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمرجل وامرأة من

اليهود قد زنيا، فقال لليهود ماتصنعون بهما؟ قالوا نسخم وجوهما، ونخزيهما. قال : فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فجاءوا فقالوا : لرجل ممن يرضون : يا أعور : اقرأ حتى انتهى إلى موضع فيها ، فوضع يده عليه قال (إرفع يدك) فرفع يده فإذا فيه أية الرجم تلوح. فقال يا محمد ، إن عليهما الرجم ولكن نكاته بيننا ، بهما فرجما.

والواضح من نص الحديث السابق انه لو كانت التوراة بالعبرية ما حاول اليهودي إخفاء أية الرجم منها ، فلم يثبت، حتى على ألسنة اليهود ، أن النبي كان يعرف القراءة بالعبرية أو الآرامية ، وإنما توهم اليهودي أن النبي بإمكانه معرفة ماهو مكتوب بالعبرية من نص التوراة فحاول إخفاءه .

ب) روى البخارى بسنده عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أنه قال ((كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها أى يترجم بالعربية لأهل الإسلام)) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم)).

وليس المقصود من التفسير هنا الشرح، وإنما الترجمة. فكيف يفسرون بالعربية نصا لا يعلمه العرب؟ إن المقصود أنهم يقرأون النص بالعبرية ثم يترجمون معناه موضحين المقصود منه باللغة العربية. أنظر كتاب الاعتصام ، باب قول النبي لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، ج ٩ / ١١٢.

ت) ذكر الحاكم في المستدرک بسنده إلى السيدة عائشة أنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح.

ويتضمن الحديث السابق نصا من التوراة يستلزم بالضرورة اطلاع السيدة عائشة عليه ومستبعد أيضاً أن يكون تجيد العبرية أو الآرامية ، والارجح أنها تحكى بنص عربى . والإنجيل هنا لفظ يطلق على الكتاب المقدس عند النصارى بعهدية القديم والحديث، وكذلك في أوروبا في عصرنا الحديث حيث يطلقون لفظ البيبل على العهدين القديم والجديد انظر في القاموس لإنجيليس، سدني ر بيرغوس الجامعة

نورستن المكتابة ١٩٨١، ٤٩. وهو من باب اطلاق الجزء على الكل، فالسيدة عائشة هنا لم تخطئ في اطلاق هذا اللفظ على كتاب اليهود.

والنص الذى ذكرته السيدة عائشة هو ترجمة مجملة لنص سفر أشعيا التالى ((هو ذاعبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفس وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأماكن يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض و تنتظر الجزائر شر يعته)) أشعيا ٣٤ / ١-٤. والنص السابق ورد كذلك على لسان حبر اليهود عبد الله بن سلام الذى أسلم وأثنى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم حين سئل عن صفة النبى فى التورات فقال : إن صفة رسول الله عليه وسلم فى التوراة ((ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين، وأنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة المعوجة بأن يقولوا لاإله إلا الله فيفتح به أعينا عمياً واذاناً صماً وقلوباً غلفاً.) انظر الطبقات لابن سعد ، ج ١ ص ٣٦٠ / ٣٦١). وقد صدق كعب الأخبار الذى اسلم فى عهد عمر على ما ذكر ابن سلام وقال ((صدق عبد الله بن سلام إلا أنها بلسانهم أعينا عموميين وأذاناً صوموميين وقلوبا غلوفيين.) انظر الطبقات لابن سعد ، ج ١ / ٣٦١). وتعلق كعب على تلك الألفاظ ليس من العبرية كما يتوهم البعض وإنما هو من لغة العرب ، وقد يشير ذلك إلى أن هناك نسخة عربية للتوراة يستخدمها عرب ويهود اليمن غير النسخة التى نقل عنها عبد الله بن سلام .

الملاحظة على الروايات السابقة ما يالى :

- ١ - هناك تطابق بين ما نقله كعب وبعض ما ذكره ابن سلام بصورة حرفية ٢. هناك تطابق تام بين نص السيدة عائشة ونص ابن سلام كما يروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فيقول مايقول ما يقول ابن سلام تماماً. وقد علق ابن سعد فى طبقاته قائلاً : قال عطاء فى حديث

فليح ثم لقيت كعبا فسألته , اختلفا في حرف إلا أن كعبا يقول بلغته ((أعينا
 عمومي)) وأذا أنا صمومي وقلوبا قلوبا (أنظر المرجع السابق. ص ٣٦٢).
 أما روائي عبد الله بن عمر وابن سلام انهما متطابقان , وهناك أكثر احتمال :
 ١ - هل أخذ ابن عمرو عن ابن سلام ؟ ٢ . هل كانت هناك ترجمة عربية
 واحدة نقل عنها الصحابي ؟ ٣ . هل ترجم ابن عمرو عن السريانية التي كان
 يعرفها نصا من نصوص التوراة إلى العربية ؟ (أنظر حسني يوسف الآطير
 والطبقات لابن سعد , ١ / ٣٢٦). الاحتمال الاخير ضعيف , لأنه لو ترجم
 بنفسه عن السريانية ما طابق نصه حرفيا مع ابن سلام , ويبقى الاحتمالان
 الاخران وهما يشيران إلى وجود نص عربي للتوراة.

ح. الخاتمة

أن الإسرائيليات هي كل ما دخل إلى التراث الإسلامي وبخاصة في مجال
 التفسير من روايات لها أصل ومصدر يهودي يمكن الوقوف عليه وأما ما لم نجد له أصلا
 في مصادرهم , ولا يقبله العقل أو المنطق وكان من روايات اليهود أو ممن أسلم منهم
 فهو من باب الخرافات والأساطير. فكل ما وجدنا له مصدرا اسرائيليا كالعهد القديم أو
 التلمود أو الادب الرباني فإنه يدخل في بحثنا هذه تحت مصطلح الإسرائيليات أما عداه
 من نصرانيات أو خرافات أساطير , فيخرج عن نطاق البحث.

أما أصحاب هذه الإسرائيليات والنصرانيات كذلك فقد جاؤوا إلى جزيرة العرب قبل
 ظهور الاسلام بمئات السنين, فقد إنتشرت المسيحية على نطاق واسع وبخاصة في
 أطراف الجزيرة, كما غلب اليهود على أقاليم كاملة منها ثم دخل قوم من العرب في
 دين اليهود وفارقوا هذا الدين (الوثنية) ودخل آخرون في النصرانية وترندق بعضهم.

أن هناك قد تشددوا تجاه رواية الإسرائيليات تشدداً أوقعهم فيما كان ينبغي عدم
 الوقوع فيه من تجريح للصحابة وللتابعين وتشكيك في إيمانهم وعدلهم وثقتهم, كما
 دفعهم كذلك إلى رد وتكذيب العديد من الأحاديث , التي أخرجت في كتب
 الصحاح .

وفي نفس الوقت الذي هاجموا فيه المفسرين من السلف , لروايتهم دون نقد وغمحيص
للإسرائيليات نراهم قد وقعوا هم أيضا وعلى نحو ما أسلفنا في رواية العديد منها ,
بل ولما خالف بعض نصوص القراءان؟.

أما رأي الكاتب في هذا, فهو ما سبق وأن أوردته عند الحديث عن تقسيم
الإسرائيليات, من أنني لا أطلق هذا المصطلح على ما يوفق شرعنا, إذ إقرار الإسلام له
يعنى ((أسلمته)) أما ما خالف, فلا نقول كما قال البعض من أنه لاتصح روايته إلا
على سبيل التكذيب والرد , وإنما ينبغى على العلماء المسلمين أن ينقوا كتب التراث
منه. وأما المسكوت عنه, أو ما ليس في شرعنا ما يوافق أو يخالفه , فلا نقول بجواز
روايته من غير تصديق ولاتكذيب, خاصة لمن يقوم بتحقيق لكتب التراث خصوصا ما
يتعلق بالتفسير وإنما يمكن إعمال العقل فيه, فإن كان مقبولا صدقناه, وما لم يكن,
رددناه, فالإسلام لايتهى عن إعمال العقل فيما لم يرد فيه نص حاسم .والله أعلم.

واخيرا ينبغى علينا بعد هذا العرض ان نشير بإيجاز إلى خطورة وأثر هذه
الاسرائيليات إذ كان لهذه الاسرائيليات التي أخذها المفسرون عن اهل الكتاب
وشرحوها كتاب الله تعالى أثر سيئ في التفسير إذ كان هذا المنهج مدخلا لدخول
كثير من الاباطيل والاساطير التي نسبت إلى رواية الاسرائيليات من أمثال كعب
ووهب وغيرهما.

كما أدى دخول مثل الأباطيل إلى النظر بعين الشك والريبة والاتهام لمن قام برواية
الاسرائيليات بشكل عام .

ومما زاد الطين بلة, أن انتهز الضاعون والزنادقة وضعفاء الايمان الفرصة فنسبوا هذه
الاسرائيليات إلى النبي صلى الله عليه وسلم .وكان من نتيجة هذه كله أن يركز
المستشرقون على هذه الاسرائيليات وما لصق بها من موضوعات للطعن في الاسلام
وتصويره كدين ملئ بالخرافات التي لايقبلها المنطق والعقل .

بل وذهب فريق آخر من المستشرقين اليهود إلى أبراز حجم هذه الاسرائيليات في
كتاب التفسير , وبنوا عليها نتيجة خطيرة وهي أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد
أخذ عن العلماء اليهود وأجبارهم وأسفارهم دينه بالكامل, ومادام الأمر كذلك ,

فعلى المسلمين أن يؤمنوا بضرورة وحتمية عودة شعب الله المختار إلى أرض المعاد وكذلك مايتعلق بخلق المرأة التي أثار بعض المفسرين بأنها خلقت من ضلع الرجل مما اد إلى إساءة المرأة وعدم المساواة بين الرجل و المرأة . ونحن الان نحتاج إلى شئ مهم وهو مطلوب إعادة تفسير القرآن ونقده تاريخيا من قبلنا لنعرف مايدعون به اليهود ولبنى إسرائيل وهذا لتنقية اثر الاسرائيليات في تفسير القرآن الكريم .

المراجع

- ابن حجر العسقلاني تهذيب التهذيب، دار سدر، بيروت لبنان
 أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، دارالفكر، بيروت .
 أبو حيان، تفسير البحر المحيط دار الفكر
 أحمد مصطفى المراغى تفسير المراغى
 ابن تيمية رسالته معارج الوصول
 أحمد عمر هاشم، قواعد أصول الحديث، طبع معهد الدراسات الاسلامية . القاهرة
 ابن هشام، مغنى اللبيب .
 الجاحظ، الرسائل الرد على النصارى
 الجرح والتعديل.
 روخ المعاني مؤسسة الحلبي القاهرة .
 صحيح البخارى
 طبقات المفسرين للداودى. دار الكتاب العربى، بيروت.
 طبقات، لابن سعد
 محمد رشيد رضا، تفسير المنار
 محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث مكتبة وهبة القاهرة.
 محمد حسن الذهبي، التفسير المفسرون. مكتبة وهبة القاهرة .
 مقدمة لابن خلدون، مطبعة البيان لجنة البيان العربى.
 مجموع الفتوى، لابن تيميه، جمع عبد الرحمن بن قاسم .
 محمد الذهبي، ميزان الاعتدال
 نشأة التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .